

الاتجاهات الفكرية الكبرى لمدرسة التحليل النفسي

الدكتور مصباحي علي^{*1}

¹ جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي-الجزائر

ملخص:

يتناول هذا المقال بصورة موسعة الاتجاهات الفكرية الكبرى لمدرسة التحليل النفسي بداية من "سيغموند فرويد" واضع اللبنة الأساسية لهذه المدرسة وصاحب فكرة "اللاشعور الفردي" وأهم كتاباته في هذا المجال، ثم التحدث عن أفكار تلاميذه الذين خالفوه أمثال: "ألفريد أدلر" صاحب نظرية "عقدة النقص" التي يرى أنها المحرك الأساسي للأبداع عند الفنان و"جوستاف يونغ" صاحب نظرية "اللاشعور الجمعي" التي تحكم تحركات البشرية، وختاماً بالناقد الفرنسي "شارل مورون" الذي أتى بمصطلح النقد النفسي وفصل بين النقد الأدبي والتحليل النفسي واعتبر أن الثاني ما هو إلا شارح للأول كل هذا في إطار تأسيس المنهجي وتأصيل معرفي تفرد به..

الكلمات المفتاحية: اللاشعور - عقدة النقص - النرجسية - التحليل النفسي - اللاشعور الجمعي

Abstract

The following article extensively addresses the major intellectual trends of the Psychoanalysis School. It opens up with "Sigmund Freud" who laid the basic building blocks of this school and the idea of "individual unconscious" in addition to his most important writings in this field. Later on, it tackles his pupils' ideas who opposed him, such as: "Alfred Adler" with the theory of "inferiority complex", which he sees as the main engine of creativity for the artist, and "Carl Jung" with his "collective unconscious" theory governing the movements of humanity. Finally, the article deals with the French critic "Charles Moron", who came up with the term psychological criticism and separated literary criticism from psychological analysis. Furthermore, he considered that the latter is only an explanation of the former, and all of this is within the framework of his unique methodological and cognitive foundations.

Keywords: subconscious, deficiency complex, narcissism, psychoanalysis, collective unconscious.

*alimosbahi75@gmail.com

1- مقدمة

في ظل الثورة العلمية المتفجرة في العصر المعاصر جراء الحداثة ظهرت على الساحة النقدية والادبية العديد من المدارس والنظريات الفكرية تبحث في عوالم النص الداخلية من خلال مبدعه ، ولعل من أهم هذه المدارس مدرسة التحليل النفسي التي ساهم في وضع لبناتها الأساسية بشكل كبير العالم النمساوي "سيغموند فرويد" والتي بدورها انبثقت عنها عدة مدارس ونظريات جراء اجتهاد تلاميذه الذين خالفوه في عدة نقاط، من المهم الإشارة الى ان هذه التوجهات والنظريات المتشجرة والمنفرعة عن مدرسة التحليل النفسي تتكامل فيما بينها ولا تتزاحم. فما هي أهم الاتجاهات والنظريات الفكرية المنبثقة عن هذه المدرسة ؟ وماهي أهم أسسها المعرفية واجراءاتها التطبيقية ؟

1.1 . سيغموند فرويد *Sigmund Freud* :

1.2 مفهوم التحليل النفسي:

التحليل النفسي في أبسط مفاهيمه هو فنٌ علميٌ نلُمس فيه أعماق النفس الإنسانية والتعرف على مقاومات المريض وتحولاته ويخضع لأساليب التقصي العلمي، فالمقاومة والتحويل للحوادث النفسية لها قوانينها التي تحكم فعلها وتفرض على المحلل النفسي كشفها كمنطلقٍ لتحكم بها وتوجيهها، فالتحليل النفسي هو عملية لاستقصاء العمليات العقلية التي لا يمكن النفاذ إليها بوسيلة أخرى (كمال وهبي وكمال ابو شهدة، 1997، ص05)

أو هي طريقة تقوم على الاستقصاء بهدف علاج الاضطرابات العُصابية، وبصياغة أخرى أوسع ،هي مجموعة من المفاهيم النفسانية التي حصلنا عليها من خلال هذه الوسيلة ، وهي مفاهيم تنمو معا كي تُشكل منهجا علميا جديدا (كمال وهبي وكمال ابو شهدة، 1997، ص05)

وجاء في معجم <<علم النفس والتحليل النفسي>> أن التحليل يُشير الى الاسلوب لفهم ظاهرة تحدث في إطار ظروف متغيرة. وتحليل الشخصية CharacterAnalysis يُشير حسب "رايخ" Reich.W الى طريقة التحليل السيكولوجي وتؤكد في البداية على تفسير شخصية المريض من خلال نمط سلوكه الكلي ، ومن خلال المقاومات ، كما يتضح في الموقف التحليلي أكثر من تأكيدها على المادة اللاشعورية فقط ،وتفسير المادة اللاشعورية بناء على التفسير الناجح لمقاومة المريض. (فرج عبد القادر طه ،شاكر عطية قنديل... وآخرون ،دت ص95)

إن التحليل السيكولوجي -أيضا- هو نظرية العلاج النفسي يتناول ما يحدث في الموقف التحليلي من علاقة تفاعلية بين المحلل والمريض كما تتجلى في مقاومات المريض ودينامية التحويل، ويُخضع العلاج التحليلي السيكولوجي المحلل إلى متطلبات أكثر صلابة فيجب عليه الإصغاء إلى المواد التي يقدمها إليه المريض، وأن يمنح لنفسه الحرية في الاندماج بصورة حرة مع ذكرياته الخاصة وتخيلاته لكن عليه أيضا أن يتحقق ويعمق أنواع

التبصر التي حصل عليها قبل أن يتمكن من نقلها دون أن يُعرض المريض إلى الخطر. (فرج عبد القادر طه، شاكر عطية قنديل... وآخرون، دت ص 95)

إن الهدف من العلاج التحليلي السيكولوجي هو الكشف عن مقاومات المريض وفهمها، وبالتالي تجاوزها ونقل العمليات اللاشعورية وتفسيرها إلى مجال الشعور، وإن التأكيد على وجود عمليات نفسية لاشعورية والالتزام بنظرية المقاومة والكبت، وإعطاء الأهمية للحياة الجنسية تلك هي النقاط الرئيسية التي يعالجها التحليل السيكولوجي. (كمال وهبي وكمال ابو شهدة، 1997، ص 05)

ومنه يعمل التحليل السيكولوجي على علاج المريض من خلال المنطلقات والعوارض التي تظهر في اللاشعور فيشخص الداء ويحدد أسبابه ويصف الدواء.

واستنادا إلى ما تقدم يمكن القول أن التحليل السيكولوجي في أبسط مفاهيمه ومظاهره هو الدراسة العلمية لبعض أوجه النشاط الفرد، وما يتضمنه من سلوك ظاهر وتجارب ذاتية شعورية، ولا يتخيلن امرؤ أن التحليل النفسي موضوعه، دراسة علم اللاشعور، وأن الشعور علم نفس آخر، فالواقع أن التحليل النفسي وإن قام على معارضة التيارات السيكولوجية السائدة في القرن التاسع عشر، إلا أنه يدخل الشعور في دراسته بل يدرسه في علاقته باللاشعور ويمكن القول عامة أن موضوع التحليل السيكولوجي ليس هو الشعور واللاشعور بل هو الإنسان في شمول إنسانيته من حيث هو وحدة بيولوجية اجتماعية ذات تاريخ. (سيغموند فرويد، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش، 2001، ص 28)

1.2 سيغموند فرويد والتحليل النفسي:

لعل من أهم ما نشير إليه تلك الجهود الأولية والإرهاصات الأولية للطبيب النمساوي "سيغموند فرويد" من خلال سيرته في وضع اللبنة الأولى لمدرسة التحليل النفسي، فكما هو معروف في الدراسات النقدية واللغوية وفي أوائل سنة 1900 انفصلت المدرسة الوظيفية عن المدرسة البنائية، وشهدت هذه الفترة تأسيس مدرسة سيكولوجية أخرى، ألا وهي مدرسة " التحليل النفسي " psychoanalysis school، وقد ساعد ظهورها حدوث تقدم في مجال الطب النفسي والتتويم المغناطيسي وقد قاد حركة التحليل النفسي العالم النمساوي " سيمغوند فرويد (عبد الرحمان عيسوي، د ت، ص 43)

وقد اهتم "فرويد" اهتماما خاصا بالأبحاث الفسيولوجية والتشريحية المتعلقة بالجهاز العصبي (عبد الرحمان عيسوي، د ت، ص 09)، وفي عام 1881 حصل على شهادة الدكتوراه في الطب ليعمل بعدها طبيباً في المستشفى الرئيسي بـ << فيينا >>، وينشر بعض الأبحاث الهامة في تشريح الجهاز العصبي في الأمراض العصبية

مما لفت الأنظار إليه، وفي عام 1885 عيّن محاضرا في علم أمراض الجهاز العصبي بـ << فيينا >> (عبد الرحمان عيسوي، د ت، ص 09)

وفي عام 1885 رحل " فرويد " إلى باريس للدراسة في جامعة " سالبترير " حيث شارك مع صديقه " جوزيف بروبر " أحد أطباء " فينا " المشهورين بأبحاث تتعلق بالهستيريا وشاهد " فرويد " بنفسه بعض هذه الأبحاث التي أثبتت إمكانية اكتشاف أعراض الهستيريا بالإيحاء التنويمى وإمكان إزالتها وقد نشر معا كتاب << دراسات في الهستيريا >> وآخر في العوامل النفسية للهستيريا". (عبد الرحمان عيسوي، د ت، ص 15)

ويعتبر هذا الأخير نقطة تحوّل هامة في تاريخ علاج الأمراض العقلية والنفسية فقد احتوى على البذور الأولى التي نمت فيما بعد بنظرية التحليل السيكلوجي، وقد أشار المؤلفان في هذا الكتاب إلى أهمية الدور الذي تلعبه الحياة العاطفية والصحة العقلية الشعورية في بناء الشخصية، وذهبا إلى الأعراض الهستيرية التي تنشأ عن طريق كبت الميول والرغبات التي يتعرض لها الفرد في طفولته هي التي تؤدي إلى الأعراض الهستيرية.

ومنذ 1106 – 1186 انفصل "فرويد " عن زميله "بروبر" بأشر "فرويد" عمل منفردا في جمع ملاحظاته، ومواصلاته أبحاثه، وتكوين نظرياته ، في وقت حرّمته المجتمعات من كل التشجيع وتأيد، ثم شيئا فشيئا بدأت الأمور تتبدل ابتداء من عام 1902 حينما التقى حوله لأول مرة مجموعة من الشباب الأطباء المُعجبين بنظريته الجديدة بقصد تعلم مبادئها وإكساب الخبرة، وبدأ ينظم إليهم أفراد آخرين من غير الأطباء من أهل الأدب والفنون. (سيغموند فرويد، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش، ص16)

ثم أخذت المعرفة بالنظرية الجديدة تنتشر بين الأطباء في كثير من البلاد وخاصة في "سويسرا" حيث اكتسبت الحركة الجديدة صداقة "أوجين بلولر" Eugene Bleuler المشرف على المعهد الأمراض العقلية بالمستشفى العام بمدينة << زيوريخ >> و"جوستاف يونغ" Carl Gustav Jung أحد مساعدي " بلولر "

وفي عام 1908 عقد أول مؤتمر للتحليل النفسي بمدينة << نيزويخ >> بدعوة من " بويغ " ، حيث تقرر إصدار مجلة للتحليل النفسي تحت إدارة " فرويد " و " بلولر " وأسندت رئاسة التحرير إلى " بويغ " وكان ذلك بدء صفحة جديدة في تاريخ حركة التحليل النفسي (سيغموند فرويد، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش، ص16)

وفي عام 1909 دعت جامعة " كلارك بالولايات المتحدة الأمريكية " فرويد " و " يونغ " للاشتراك في احتفال الجامعة بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيسها فاستقبل "فرويد" وزميله في أرض الدنيا الجديدة استقبالا رائعا وقُبلت محاضرات "فرويد" الخمس والمحاضرتان اللتان ألقاهما "يونغ" بجامعة <<كلارك>> المقدمة استقبالا حسنا

ونالت إعجاب وقبول الحضور من حيث المفاهيم العلمية الجديدة في الساحة العلمية العالمية. (سيغموند فرويد، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش، ص16)

وفي عام 1910 عقد المؤتمر الثاني للتحليل النفسي في مدينة "نورمبرج" حيث تم تأليف مجلة "جمعية التحليل النفسي الدولية"، وتقرر في ذلك المؤتمر إصدار نشرة دورية تكون رابطة الاتصال بين الجمعية الرئيسية وبين فروعها الأخرى في برلين برياسة "ألفرد أدلر" Alfred Adler .

وبعد ذلك أصدر "أدلر" و"تشكيل" Stekel مجلة ثانية للتحليل النفسي في فيينا. (سيغموند فرويد، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش، ص17)

ثم توالى بعد ذلك مؤتمرات جمعية التحليل النفسي، وتكونت لها فروع في معظم الأقطار الغربية وأخذت تعاليم التحليل السيكولوجي في الانتشار وبدأت تجلب إليها الكثير من الأصدقاء والمتتبعين لا من رجال الطب فقط بل من رجال العلوم والفنون المختلفة أيضا. (سيغموند فرويد، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش، ص17)

ومن خلال هذه الجهود والمسيرة العلمية الطويلة في أبحاث واكتشافات والمؤتمرات والمؤلفات التي سطرها "فرويد" في المسيرة العلمية يرى النقاد والمتتبعون لأعمال "فرويد" ومؤلفاته أنها تنقسم إلى قسمين: (سيغموند فرويد، ترجمة مصطفى زيور، وعبد المنعم المليجي، 1994، ص 14)

القسم الأول: يقع معظمه في الفترة الأولى من حياته العلمية يُعالج في مقالات موزعة على الدوريات الطبية الوقائع الإكلينيكية وتعرض نتائج من مشاهداته المنهجية.

والقسم الثاني يقع في معظمه في الفترة الأخيرة من حياته يناقش فيه فروضا جدلية لا تعدو أن تكون فلسفة الباحث بعد أن انتهى من بحثه، وهذه الحقيقة تغيب عن معظم القراء والباحثين وتجعل دراسة التحليل السيكولوجية دراسة تاريخية شيئا لا بد منه.

وعلى غرار الملاحظات السابقة حول مسيرة "فرويد" العلمية وتصنيفات كتاباته فإن "جان بيلمان نويل" أبدى ثلاث ملاحظات علمية دقيقة حول مصنفات "فرويد" وأعماله في التحليل النفسي.

الملاحظة الأولى: تصب في الاهتمام المتواصل في كتاباته النظرية و النفسية بالاستناد إلى الأسماء الكبيرة والعناوين الكبرى في الأدب العالمي، وهكذا خضعت حالة "أوديب" للدراسة طوال حياة "فرويد" في واقعها الأدبي كما في مركبها النووي ابتداء من رسالته إلى "فليس" يوم 15 أكتوبر 1897 وصولا إلى كتابه <<مختصر التحليل النفسي>> سنة 1938. (جان بيلمان نويل، ترجمة حسن مودن، 1998، ص20)

الملاحظة الثانية: في مناسبة خاصة أنجز "فرويد" تحليلًا كلينيكيًا لذهاني بالاشتغال فقط على كتاب <<أوتوبيوغرافي>> مكتوب من طرف الذهاني الرئيس المشهور "شريبير" (خمسة دروس في التحليل النفسي). (جان بيلمان نويل، ترجمة حسن مودن، 1998، ص 20)

الملاحظة الثالثة: أن "فرويد" ينتقي نصوص الكتاب بحيث تكون الكتابة مختزقة ومشتغلة بشكل رائد ولهذا لم يذهب نسبيًا بعيدًا بأبحاثه حول الميثولوجيات والفولكلور، لقد أوكل "فرويد" هذه العناية من جهة "الأولوراتك"، ومن جهة أخرى لـ "تيودور" tudor و"رايك جيزا روجيم". (جان بيلمان نويل، ترجمة حسن مودن، 1998، ص 20)

وهكذا نجد تحليلات (الطوطم والتابو) تنطلق من الوثائق الأثنوغرافية بالدرجة الأولى وبشكل أقل مما تنطلق من التأليفات والشروحات التي اقترحها الأثنوبولوجي "فرايزر" Fraser. (جان بيلمان نويل، ترجمة حسن مودن، 1998، ص 21)

2. ألفرد أدلر (1870 – 1937):

بما أن فكرة التحليل النفسي تقوم على أساس التسليم بنظرية العقل الظاهر أو الشعور The Conscious والعقل الباطن أو اللاشعور The Unconscious، وتنطلق هذه النظرية على أساس أن تفكيرنا الظاهر وتصرفاتنا الشعورية ماهي إلا نتيجة عمليات نفسية لاشعورية تجري في العقل الباطن مستقلة عن إرادتنا، ويمكن التدليل على وجود العقل الباطن بإجراءات التحليل النفسي وبظواهر التنويم والأحلام والتداعي الحر، والظواهر النفسية الشاذة أو المرضية. (بسام قطوس، 2006 ص 50)

وظلت أن مدرسة التحليل النفسي الفرويدية تركز على الدوافع الجنسية من الدوافع الغريزية اللاواعية التي رأوها تقف وراء تشكل الإبداع مثل عقدة الأوديبي Oedipuscomplex، وعقدة الكترا Electracomplex والدوافع الجنسية. (بسام قطوس، 2006 ص 45)

وهنا، وإن كان بعض تلاميذ "فرويد" يتفقون معه في بعض الخطوط العامة لنظرية اللاوعي، فإنهم يختلفون في بعض التفسيرات، ومن الطبيعي جدا أن يُخالف التلميذ أستاذه أحيانا وينشق عليه، أو يضيف إلى أفكاره شيئا من اجتهاداته واكتشافاته، فهذا "ألفرد أدلر" صاحب مدرسة "علم النفس الفردي" خالف الأستاذ "فرويد" في أن تكون الغريزة الجنسية السبب الوحيد لظهور الأمراض العصابية والباعث الأول عن الإبداع والفجأة بأفكار أخرى، منها رؤيته إلى أن الإبداع الفني راجع إلى مركب الشعور بالنقص. (بسام قطوس، 2006 ص 77)

2.2 عقدة الشعور بالنقص والإبداع:

إن عقدة النقص The inferiority complex واحدة من أهم اكتشافات علم النفس الفردي لدى "أدلر"، فقد أصبحت معروفة على مستوى العالم، حتى أن الأطباء النفسيين من مختلف فروع ومدارس علم النفس، في جميع أنحاء العالم يستخدمون هذا المصطلح بكثرة في أبحاثهم، وربما يستخدمونه بطريقة غير صحيحة، فعلى سبيل المثال لو أنك أخبرت أحد المرضى بأنه يعاني من عقدة النقص، فإن هذا سيكون غير مفيد له على الإطلاق، بل مضر به أنه فمن الضروري أن نتفهم ذلك الشعور، بأنه في حالة مرضية، والتي تظهر بوضوح في أسلوب حياته، كما أنه من الواجب علينا أن نشجعه خاصة عندما يفشل أو تنقصه الشجاعة. (ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2005، ص77)

ويرى "أدلر" أن جميع الأفراد العصائبيين يعانون من عقدة النقص، ويمكننا التعرف عليهم من خلال المواقف التي يشعرون فيها بأنهم غير قادرين على الحياة بطريقة مفيدة، وأن مجرد إعطاء اسم للمشكلة التي يعانون منها أمر غير مفيد على الإطلاق، فنحن لا نستطيع تزويدهم بالشجاعة عندما نقول لهم: أنكم تعانيون من عقدة النقص سيكون ردهم عكس ذلك فمن الواجب علينا أن لا نسأل مثل تلك الأسئلة (ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2005، ص14)

فالشخص المتعرج على سبيل المثال، ما هو إلا شخص يعاني من عقدة النفس، فهو يفكر قائلا: >> من المرجح أن الكثير من أفراد ذلك المجتمع المحيط بي سيحاولون تجاهلي والتقليل من شأنى، ولهذا فإنه من الواجب أن أسبقهم وأريهم مدى أهميتي، ومن ثمّ سيكون سلوكه يتسم بالتكبر والغطرسة << (ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2005، ص78)

ويرى "أدلر" عقدة النقص من خلال طرحه بأهميتها بأنها عقدة النقص تظهر بوضوح في وجود مشكلة يكون الفرد غير مستعد، لمواجهة، وهي تؤكد قناعته بعدم قدرته على حلها. (ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2005، ص80)

من هذا التعريف يمكننا أن نرى أن الغضب مثل الدموع والأعداء فليس تعبيراً عن "عقدة النقص"، وحيث أن مشاعر النقص ينتج عنها الكثير من الضغوط فإنه سيكون هناك دائماً رد عند فعل لمحاولة تعويض الشعور بـ "النقص" وذلك بالتظاهر بالشعور بالتفوق، ولكن رد الفعل هذا، لن يكون في اتجاه محاولة حل المشكلة ذاتها.

ومن الناحية الأخرى فإن الأطفال الذين يتمادون في التفاخر بما يملكون وبما لا يملكون يبدون كما لو أنهم يعانون من عقدة التفوق، ولكن لو دققنا وفحصنا سلوكهم عن قرب، واهتمنا بتصرفاتهم وليس بما يصدر عنهم من كلمات فإننا سوف نكتشف السر الذي يحاولون إخفاءه ألا وهو شعورهم بـ "النقص". (ألفريد أدلر، ترجمة عادل نجيب بشرى، 2005، ص83-84)

أما من الجانب الأدبي في الإبداع لدى الأديب فإن "أدلر" ويختلف مع أستاذه "فرويد" وإن كانا يتفقان في فكرة أو غريزة حب الظهور تعويضا عن النقص، ولكنه يختلف معه في محتواها، ففي الوقت الذي يرى فيه "فرويد" أن الفن والإبداع مجرد تعويض مقنع عن كبت جنسي أو مجرد ضرب من ضروب التنفيس من أجل التواءم مع العالم تقاديا للمرض، يرى "أدلر" أن عقدة الجنس بكل مظاهرها ومركبتها لا تغلح في تفسير الإبداع بقدر ما تبدو عقدة النقص عند المبدع في محاولة تعويضية لهذا النقص، ومن هنا نجد "أدلر" يسعى في حل دراساته في الآداب والفن للبحث عن مظاهر التعويض Compensation عند النقص في ضروب الفن ومظاهر الإبداع التي عرفت عنده بمركب النقص. (بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء ادنيا الطباعة، الاسكندرية، ط1، 2006، ص54)

وخلاصة قول ذلك كله أن "ألفريد أدلر" يرى أن الباعث الأساسي على الفن والإبداع هو غريزة حب الظهور وحب السيطرة والتملك. (الين فاليري، ترجمة نزار عيون السود، دت، ص113)

ولعل الشيء الذي يميز نظرية "أدلر" من هذا كله هو اهتمامه بالجانب الاجتماعي، فالدوافع اللاشعورية في تصوره لا يمكن أن تقدم بمفردها، فهما مكملان للطبيعة البشرية إذ لابد من تفاعل عالم الشخصية الباطني بالعلاقات الشئئية الموضوعية وبخاصة العلاقات الاجتماعية لأن الفرد في نظره ليس كائنا معزولا عن وسطه الاجتماعي يتصرف بما يميله عليه نزوعه الفردي ودوافعه اللاشعورية. على أن "أدلر" مع هذا لم يتعمق السياق الاجتماعي بتناقضاته، ويبقى عنده محصورا في الطابع البيولوجي الوراثي (زين الدين المختاري، 1991، ص17)

3 . كارل كوستاف يونغ " Carl Gustav Jung (1875 - 1961)

يرى "يونغ" أن "سيغموند فرويد" غالى كثيرا في إعطاء أهمية كبيرة للغريزة الجنسية حين عدّها سبب نشأة العصاب عند الفنانين والباعث الأول على الفنّ والحق أنه توافق مع فرويد على مبدأ اللاشعور بوصفه مظهرا من مظاهر الفنّ، ويسمى اللاشعور الفردي أو الشخصي أو الخافية الخاصة (زين الدين المختاري، 1991، ص14)، إلا أنه يضيف إليه نوعا آخر يسميه اللاشعور الجمعي، وبهذا يكون قد مهدّ إلى نظرية جديدة لرأيه خاصة بالفنان، إذ يعتبره >> مجرد أداة في يد قوة عليا لاشعورية، وهي "اللاشعور الجمعي"<<. وتبعاً لذلك فإن عمل الفنان لابد من أن يشبع الحاجة الروحية للمجتمع الذي يعيش في كنفه، بمعنى أنه لابد من أن يضطلع بمهمة إعادة التوازن النفسي إلى الحقبة التاريخية التي ينتسب إليها. (مكرم شاكر اسكندر، 2006، ص42)

من خلال ممارسة "يونغ" لطب النفسي عام 1900 والتعمق فيه، وذلك بالاستعانة بالمكون المعرفي الذي استقاه من مفاهيم "فرويد"، إلا أن "يونغ" من خلال دراساته لم يتفق مع أفكار "فرويد" خاصة تلك التي تتعلق باللاشعور، بل برز هناك تباين واضح بينهما في الرؤية التكوينية لنفس الإنسان خاصة عندما صدر كتابه "سيكولوجية اللاشعور" والذي أذاع فيه ما يفرق مفاهيمه عن مفاهيم "فرويد"، حيث بدأت القطيعة بينهما لتصبح

أعمال "فرويد" وتلاميذه تعرف بمدرسة التحليل النفسي، بينما إنتمت أعمال "يونغ" وتلاميذه إلى ما يسمى تعليم النفس التحليلي أحيانا وعلم النفس العقد النفسية أحيانا أخرى، ومن أهم فرضياتها العلمية الليبدو واللاشعور الجمعي. (مكرم شاكر اسكندر، 2006، ص 15)

2.3 مفهوم اللاشعور الجمعي: Collective Unconsciousness

هو مصطلح استخدمه "يونغ" كي يشير به إلى ذلك الجانب من اللاشعور والذي يشترك فيه كل البشر، وقد افترض "يونغ" أن هذا اللاشعور الإنساني موروث، وينتقل عبر الأجيال ويترك آثاره على شكل مضمون المخ الإنساني وأنه غير فردي ولا شخصي بل جمعي، ويتكون من المادة المتبقية رغم التطور الإنساني والمكونات الأساسية لللاشعور الجمعي تسمي بالصور أو النماذج البدائية Archctype وهي الأفكار والصور الموروثة اللاشعورية من تراث الأسلاف وعبر الأجيال مثل الصور، والأفكار الخاصة حول الأب وحول الله والشيطان والخير والشر (شاكر عبد الحميد، ص 80)

ويعتبر "يونغ" أن اللاشعور الجمعي هو المنبع الأساسي للأعمال الأدبية والفنية، وهو البوتقة التي تتصهر فيها كل النماذج البدائية والرواسب القديمة والتراكمات الموروثة والأفكار الأولى (يونغ كارل غوستاف، ترجمة نبيل محسن، 1997، ص 12)

فاللاشعور الجمعي بهذا المعنى يمثل خبرات الماضي وتجارب الأسلاف وهو منطلق "يونغ" من تحليل عملية الإبداع بصورة عامة، فهذه العملية تتم في تصوره باستثارة النماذج الرئيسية المتراكمة في اللاشعور الجمعي بواسطة " الليبدو" المنسحب من العالم الخارجي والمتردد من الذات وبواسطة الأزمات الخارجية أو الاجتماعية وهذا ما يسبب اضطرابا نفسيا لدى الفنان فيحاول إيجاد اتزان جديد لنفسه (زين الدين مختاري، ص 29)

3.3 يونغ والإبداع الفني:

تناول "يونغ" في أبحاثه العديد من الموضوعات مثل الديانات والأحلام والأساطير والأمراض والفنون الإنسانية ، وكان متمسما بالفهم في قراءاته الأدبية والفلسفية وكانت " درة جوته" الشهيرة " فاوست" ذات تأثير مبكر عليه، وكما كان "لنتشه" تأثيره القوي عليه وقد رأى أن " ننتشه" Nietzsche و" فرويد" هما المحوران الكبيران للحضارة الغربية في اعتمدهما في تفسير الظواهر على القوة والجنس، ولكنه شعر أيضا أن الرجلين قد استغرقا في هذين الموضوعين الحيويين حتى سيطرا عليهما وأعماههما عن الموضوعات الأخرى في الحياة الإنسانية، لذلك قرر "يونغ" أن يمتد بعقله إلى آفاق أخرى. (شاكر عبد الحميد، ص 78)

وقد اهتم "يونغ" بالإنسان وابداعاته بصورة خاصة ، وقام بتقسيم الإبداع إلى نوعين هما:

- الفن السيكلوجي (أو النفسي) Psychological art: والذي يتعامل مع موضوعات مُشتقة من واقع الشعور الإنساني ، أو مع دروس الحياة أي مع خبرات الحياة في العامل الخارجي من موضوعات الحب، والأسرة، والبيئة، والشعر التعليمي، ومعظم الشعر الغنائي، والدراما والتراجيديا والكوميديا. (شاكر عبد الحميد، ص99)

- الفن الكشفي visionary art: وهو الذي يشق وجوده من اللاشعور الجمعي و الأرض المجهولة حيث تكمن بقايا التجارب الأسلاف في عقل الإنسان والزمن الأسطوري الذي يفصلنا عن عصور ما قبل الانسان، ويستثير بداخلنا عالما إنسانيا يشتمل على تضاد النور والظلمة. (شاكر عبد الحميد، ص99)

ويرى "يونغ" أن سبب الإبداع الفني يكمن في تغلغل اللاشعور الجمعي وبتحرر من الموروث الاجتماعي المتراكم منذ سنين، وفي هذا المقام يقول: >> سبب الإبداع الفني الممتاز هو تقليل اللاشعور الجمعي في فترات الازمات الاجتماعية مما يقلل من اتزان الحياة النفسية لدى الشاعر ويدفعه الى محاولة الحصول على اتزان جديد، وأن الفنان الاصيل يطلع على مادة اللاشعور الجمعي بالحدس ولا يلبث أن يسقطها في رموز، والرمز هو أفضل صيغة ممكنة للتعبير عن حقيقة مجهولة نسبيا ، ولا يمكنه أن توضح أكثر ذلك بأي وسيلة أخرى>>. (daugherty Kc6artists pamastill life(ed) Westport Conn inorthslight) publishers1977.p7.

فالأحلام والرموز لدى "يونغ" مادة ثرية لدراسة الفن الإنساني لأنها المادة التي تتجسد منها الأنماط الأولية للاشعور الجمعي في أبلغ صورها ، والأحلام عند "يونغ" هي تلك التخيلات المفككة المراوغة غير الجديرة بالثقة المبهجة والمتقلبة والحلم يعبر عن شيء خاص يحاول اللاوعي أن يقوله.(يونغ (ك.ح)، ترجمة نهاد خياطة، 1985، ص 212)

ويرى "يونغ" أن الفرد يسعى لتحقيق الذات والتمايز أو التشخيص، وذلك بإحداث التوازن بين الأضداد في اللاشعور الجمعي، ومن ثم التفاعل بين الأنا واللاشعور الجمعي والشخص حتى يُخلق وحدة كلية من جميع المكونات عن طريق التسامي وحدد "يونغ" نمطية وواقع عمليات تؤثر في كيفية ارتباطها بالعالم الخارجي (محمد عثمان البجاتي، 2003، ص 140)

- الاتجاهان: الانبساطية والإنطوائية .

- أما العمليات: فهي الحسّ و التفكير و الشعور و الحدس .

ويرى أن التفكير والشعور يقابلان الحسّ والحدس ويظهر في النمطية أحد هذه العمليات وتتقص الأخرى، في حين يبقى الاثنان يلعبان دورا مساعدا، وبذلك يكون لدينا شخصية انبساطية وشخصية انطوائية.

والأولى قد تكون انبساطية عقلية منطقية، وقد تكون انبساطية عقلية غير منطقية والثانية قد تكون انطوائية عقلية منطقية وقد تكون انطوائية عقلية غير منطقية، والمنطقية يحكمها التفكير والمشاعر المنطقية، في حين أن غير المنطقية يحكمها الإحساس والحدس غير المنطقي.

وخلاصة ما أوردته الدراسات والبحوث حول نظرية "يونغ" واللاشعور الجمعي وعلاقتها بالإبداع الفني، وحسب رأي "يونغ" أن المرض النفسي ما هو إلا محاولة لإصلاح المتناقضات في الشخصية والسعي نحو تحقيق الذات.

4. شارل موروون Charles Mauron (1899 – 1966):

لقد فتحت دراسات "فرويد" آفاقا كثيرة في مجال التحليل السيكلوجي والغوص في عوالم النفس البشرية، وذلك من استعمال واستخدام أدوات إجرائية كانت كجسور لولوج خفايا اللاشعور والبحث عن مواطن الداء لدى المريض، كفرضيات الأحلام، والكبت، والتداعي الحرّ والنمو الغريزة الجنسية إلا أن سيرورة التطور وما تشهده الساحة العلمية من تطور وأبحاث جعل نخبة من العلماء يواصلون المسيرة في الأبحاث السيكلوجية، ويبتكرون فرضيات وأدوات إجرائية جديدة على غير التجاء بها "سيغموند فرويد" و"يونغ" وغيرهما؛ فيها هو "شارلموروون" أبدع نظريات جديدة، ولعل أبرزها النقد التحليلي analytique والذي يرى أن ممارسة محولة transmatrice غير أن التحول لا يتعلق ببنية المؤلف أو بنية عمله الأدبي بل ببنية العمل الأدبي المقروء. (محمد عثمان البجاتي، 2003، ص 141)

فقد عرف "شارل موروون" النقد التحليلي في كتابه << اللاشعور في عمل وحياة راسين >> بقوله : << أنه تطبيق التحليل النفسي على النقد، وذلك عبر الانتقال من العمل الأدبي الى الإنسان المبدع >>. (فيصل الأحمر ونبيل داودة، دت، ص 285)

ويوحي لنا هذا التفريق لا ينطلق من شخصية ونفسية المبدع من أجل تفسير العمل الأدبي بل يسعى إلى دراسة البنية السيكلوجية للأديب وبالرغم من ذلك لا يغفله حيث يجعله محط مساءلة في المقام التالي للنص، ف"مورن" يتعامل مع المبدع وقد صار نصا، إنه يجعل النص معلقا وهو مزود بلاوعي خاص. (فيصل الأحمر ونبيل داودة، دت، ص 285)

فالناقد يجد نفسه محصورا بين صاحب الخطاب المؤول، ومُتلقي التأويل، والعمل المقروء Smirnoff l'oeuvre lue أي بين الكاتب وقارئ العمل النقدي، ومن هنا نرى مدى اختلاف هذه الحالة عن التي تنشأ بين الرتبة والمقعد. (مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، ص 61)

وبهذا يكون لبعض النصوص الأدبية دور الوسيط بين العبارة والتنظير بغية بلورة الفرضيات الوليدة وضمانها لتعميم الاكتشافات المميزة والمحددة بالحقل الطبي. (مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، ص 61)

2.4 النقد النفسي والإبداع الفني عند "شارل مورون":

استبعد هذا الباحث وهو منشئ "النقد النفساني" أن يكون التحليل السيكلوجي للأدب والفن مجرد تحليل "إكلينيكي" تحكمه قواعد التشخيص الطبي، كما استبعد أن يكون الأديب أو الفنان في كل الحالات إنسانا عصابيا أو يكون أدبه كشفا عن أمراضه ، علما أنه لم يهمل بعض فرضيات التحليل النفسي في تناوله شخصية الأديب وعمله الأدبي. (زين الدين المختاري، ص 12)

وبهذه الرؤية يكون قد خالف "سيمغوند فرويد" في أن الأدب انبعاث عن القوة الجنسية مكبوتة في اللاشعور تظهر في الإبداع وكذلك خالف "ألفريد أدلر" الذي أرجع الإبداع الفني لدى الأديب أنه راجع إلى مركب التعويض أو النقص (عقدة النقص).

وقد حاول "مورن" في منهجه التركيز على الصورة المتعاودة في العمل الأدبي، وتركيب بعضها فوق بعضه بغية تكوين شبكة من الدلالات، وهي التي يركز عليها "النقد التحليلي" بدرجة كبيرة، لأنها في الغالب تحيل إلى صاحب النص فإن السبب يعود إلى أن "مورون" يرى أنه إذا كانت العبارات والأفكار قد اختارها الأديب اختيارا واقعا فإن الشبكية الدلالية التي تكونها العناصر المتعاودة إنما تتصل باللاوعي، ويحيل عليه، وهي أيضا تمثل واقعنا خفيا لا يعرفه وعي الأدب إلا معرفة جزئية (مكرم شاكور إسكندر، ص 44)

وبهذا يكون "شارل مورون" قد فصل بين النقد الأدبي عن التحليل النفسي وعلم النفس بصورة عامة وأسس بذلك مفهوما نقديا جديدا لا يعترف بأية تعليمية سيكلوجية مفروضة من الخارج. وفي هذا يقول "يوسف وغليسي": >> "تجمع عامة البحوث والدراسات على أن الناقد الفرنسي "شارل مورون" الذي يُعزى إليه مصطلح النقد النفساني Psycho ritique ، قد حقق للنقد الأدبي انتصارا منهجيا كبيرا وإضافة مهمة ؛ إذ فصل النقد الأدبي عن علم النفس ، وجعل من الأول أكبر من أن يبقى مجرد شارح وموضح للثاني، مقترحا منهجا لا يجعل من التحليل النفسي غاية في ذاته ، بل يستعين به وسيلة منهجية في دراسة النصوص الأدبية <<. (يوسف وغليسي، ص 23)

وهذا ما جسده في دراسة لشخصية "راسين" ومسرحياته، إذ يهتم باللاشعور و "مركب أوديب" ومبدأ اللذة والسادية والمازوجية والكبت الشديد ورقابة الأنا الأعلى، ولم يهمل أيضا تحليل الصراعات الكامنة وراء المآسي واستخلاص أبنيتها المتجانسة بالاعتماد على العناصر البيوغرافية. (زين الدين المختاري، ص 12)

فالنقد السيكلوجية من هذا كله يدور حول اللغة، أي أنه تجربة مسرحها لغة التكلم، أو التكلم فقط تلك هي القاعدة الأساسية التي أقامها "مورن" و"لاكان" Lacan خاصة في مؤلفه (كتابات Ecrits) >> ليس لهذه القاعدة

سوى وسيط : كلام المريض وهذا الكلام ما هو إلا وليد حلم أو عبارة هجاسية يحرض ويوجه دفقة من الصور (التصورات) والأحاسيس والعواطف والذكريات والأفكار ستخضع بدورها إلى التحليل والنقد<>. (مجموعة من الكتاب، ترجمة رضوان ظاظا، ص53)

وبهذه الأدوات الإجرائية في منهج النقد النفسي التي تحاول في عمقها لبعث التحليل السيكلوجي في ثوب جديد حاول "مورون" دراسة الشاعر الفرنسي "ستيفان مالارمي" فوجد أن >> أهم الحوادث في حياة هذا الشاعر هو موت أخته "ماريا" التي ماتت في الثالثة عشر من عمرها عندما كان ستيفان في الخامسة عشر غير أن كثيرا من الدراسات لم تشر إليها البتة والبعض يذكرها عرضا، وهو إغفال خطير في رأي "مورون" للوقائع العميقة << (حسين واد، 1985، ص08)

وقد حاول "مورون" أن يستقصي الحياة الطفولية لـ "مالارمي" في قصائده فوجد أن أصداء حياته الطفولية تتواجد بكثرة في زوايا قصائده بشكل كبيرة وهذا ما لا يتفطن له النقاد آخرون في دراساتهم حول هذا الشاعر لأن الآليات النقدية السيكلوجية النقدية غابت عنهم ولم يستعملوها، وفي هذا يقول "سامي الدروبي" معرجا على رؤية "مورون" في تحليله لشخصية "مالارمي" : >> إن كلمة "تلقيح" الموجودة في القصيدة تحدد الصلة الحية التي قامت في الماضي بين الأخ وأخته والتي مازالت حية في لاشعور الأخ <<. (سامي الدروبي، دت، ص298)

وبهذا لم يقف "مورون" في منهجه لم يقف عند فرضيات التحليل النفسي، وإنما تجاوزها إلى تنوير الآثار الأدبية وخلق قراءة جديدة لها، وفن القراءة هو الدعامية الأساسية التي قام عليها النقد السيكلوجي عنده فهو ينطلق من عوامل ثلاثة تكون الإبداع الأدبي وهي الوسط الاجتماعي وتاريخه وشخصية الأديب وتاريخها واللغة وتاريخها، والعامل الثاني أي شخصية الأديب وتاريخها هو موضوع النقد السيكلوجي في المقام الأول (زين الدين مختاري، ص 17)

هذا الموضوع يتضح من خلال العناصر المكونة للأثر الأدبي أو من خلال تداعي الصور المجازية بعضها على بعض لتركيبة شبكة من الدلالات المستقلة عن التراكيب الواعية المتمثلة فيما اختاره الأديب من افكار وعبارات فهذه الشبكة الدلالية تمثل جانب اللاوعي من حياة الأديب الخفية، وهي التي تقودنا إلى الصورة الأسطورية والحالات المأساوية والباطنية التي انطلق منها الأثر الأدبي. (زين الدين مختاري، ص 17)

5-الخلاصة:

بعد الابحار في الارهاصات الاولى لمرسة التحليل النفسي والتفصيل في اسسها المعرفية وتوجهاتها الفكرية المنبثقة عنها يمكننا الخروج بجمللة من النتائج نذكر اهمها :

- 1- يعتبر سيغموند فرويد واضع اللبئات الاساسية لمدرسة التحليل النفسي ومن خلالها فتح المجال واسعا للبحث في عوالم المبدع النفسية من خلال سلوكه (الأبداع)
- 2- يرى "فرويد" أن اللاشعور الفردي والغريزة (الجنس) هما المحركان الاساسيان للبشرية عامة وللفنانون نحو الأبداع خاصة.
- 3- خالف "أدلر" أستاذة "فرويد" فجاء بنظرية عقدة النقص" واعتبرها هي مركب موجود في شخصية المبدع ويسعى هذا الاخير الى تعويضه واخفاءه من خلال العمل الأدبي المغطى بالترجسية.
- 4- خالف "جوستاف يونغ" استاذة فرويد - أيضا-في رؤيته الى أن الغريزة واللاشعور الفردي هي المحرك للمبدع والبشرية بصورة عامة فجاء باللاشعور الجمعي وهي تلك العادات والتقاليد والتجارب التي تناقلها الابناء عن الاباء عن الاجداد لا شعوريا عن طريق ما يسمى عقده بـ" اللاشعور الجمعي "الذي الناقد من خلال المتحكم الاساسي في حياة البشر ويؤطر الإبداع الفني عند الفنان .
- 5- جاء "شارل مورون "بمصطلح النقد النفسي وفصل من خلاله بين النقد الأدبي والتحليل النفسي وعلم النفس ومنه تميزت الرؤية السيكلوجية للمبدع عنده من خلال الشبكة الدالية للألفاظ والعبارات والافكار التي تتسج العمل الادبيالخ

المصادر والمراجع:

1. ألفريد أدلر، معنى الحياة، ترجمة عادل نجيب بشرى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص77.
2. بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء ادنيا للطباعة ، الاسكندرية ، ط1، 2006، ص50.
3. جان بيلمان نويل، التحليل النفسي للأدب، ترجمة حسن مودن، دار النشر مطابع الأهرام، القاهرة، ط1. 1998، ص20.
4. حسين واد، قراءات في مناهج الدراسات الأدبية، سراس للنشر ، تونس، 1985، دط، ص08 .
5. زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة السحرية، في نقد العقاد نموذجا منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، دط ، 1991، ص17.
6. زين الدين المختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد، ص12.
7. سامي الدروبي ، علم النفس والادب ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، دت ص298.
8. سيغموند فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة سامي محمد وعلي عبد السلام القفاش،، ص16 .
9. سيغموند فرويد، حياتي والتحليل النفسي، ترجمة مصطفى زيور، وعبد المنعم المليجي، دار المعارف، القاهرة، دط، 1994، ص 14 .
10. شاكر عبد الحميد، الأسس النفسية للإبداع الفني، في القصة القصيرة خاصة، ص 80 .
11. عبد الرحمان عيسوي، أصول في البحث السيكلوجي، دار الراتب الجامعية، بيروت ، دط، دت، ص 43
12. فرج عبد القادر طه ،شاكر عطية قنديل... وآخرون ،معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية للطباعة بيروت، دط ،دت ص95 .
13. فيصل الأحمر ونبيل داودة، الموسوعة الأدبية ، دار المعرفة ، الجزائر، دط، دت، ص285 .
14. كمال هبي كمال ابوشهد، مقدمة في التحليل النفسي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1997، ص05.
15. لين فاليري، التحليل النفسي، والفرويدية الجديدة، ترجمة نزار عيون السود، دار الوثبة، دمشق، دت ،

16. مجموعة من الكتاب، مدخل إلى مناهج النقد المعاصرة، ترجمة رضوان ظاظا، دار عالم المعرفة، الكويت، دط، 1997، ص 61 .

17. محمد عثمان البجاتي، علم النفس الإكلينيكي، منشورات الاختلاف، الجزائر، دط، 2003، ص 140 .

18. مكرم شاعر اسكندر، أدباء منتحرون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2006، ص 42

19. يوسف وغليسي ، مناهج النقد الادبي ، ص 23.

20. يونغ (ك.ح) علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة ، دار المعارف، القاهرة، دط، 1985، ص 212 .

21. يونغ كارل غوستاف، جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع،

ط 1، 1997، ص 12 .

22. ولد سيمغوند فرويد في 06 ماي 1856 في قرية تتبع إلى تشيكوسلوفاكيا من أب يهودي يسمى " ياكوب

فرويد" هاجر إلى فينا وعمره أربعة سنوات عام 1860، تخرج من جامعة فينا من كلية الطب، وفي عام

1885 أصبح محاضرا جامعيا في الأمراض العصبية وتخصص منها، سافر إلى فرنسا وعمل مع "شاركو"

في بحوث تتعلق بالهستيريا وفي عام 1910 أسس الرابطة الدولية للتحليل النفسي ومن أهم أعضائها،

بونج، أدلر، فريونزي، وفي عام 1930 هاجر فرويد إلى لندن بعد احتلال النازيين النمسا وتوفي فيها 23

سبتمبر 1939.

23. daugherty Kc6artists pamastill life(ed) Westport Conn inorthslight
publishers1977.p7.